

اسم المقال: صورة المتطرف في رواية "عرق بلدي" لمحمد المزيني بين التشكل والتفكك

اسم الكاتب: ليلي شعبان رضوان

رابط ثابت: <https://political-encyclopedia.org/library/9399>

تاريخ الاسترداد: 2026/04/10 18:56 +03

الموسوعة السياسية هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت. لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسية - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسية - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع <https://political-encyclopedia.org/terms-of-use>





جامعة الشارقة
UNIVERSITY OF SHARJAH

مجلة جامعة الشارقة

مجلة علمية محكمة

للعالم
الإنسانية
والاجتماعية



المجلد 21، العدد 4

جمادي الثاني 1446 هـ / ديسمبر 2024 م

الترقيم الدولي المعياري للدوريات 1996-2339

صورة المتطرف في رواية "عرق بلدي" لمحمد المزيني بين التشكل والتفكك

ليلى شعبان رضوان⁽¹⁾

تاريخ القبول: 2023-06-22

تاريخ الاستلام: 2023-05-14

ملخص البحث:

يتغيا البحث استجلاء صورة المتطرف في رواية "عرق بلدي" لمحمد المزيني التي قاربها سردياً في قالب إبداعي فني، ركّز فيها على الشكل الخارجي وانعكاساته في دواخل نفسه، وبيّن الأسباب والدوافع التي تؤدي بالإنسان إلى التطرف والانسلاخ عن ماضيه، والانتظام ضمن جماعة يتماهى معها، وينفذ إرادتها إلى أن يضيق بهم ذرعاً، فيفارقهم عامداً بعد وعيه بحقيقة التطرف ومآلاته.

ويهدف البحث إلى التعرف إلى شخصية المتطرف بدءاً من نشأتها نشأة عابثة ماجنة فاشلة تضافرت لها عوامل كثيرة آلت بها إلى التطرف، ومن ثم انفكاكها عنه، لنحلل تلك الظاهرة، ونبين كيفية تشكلها وتفككها وسبل مواجهتها كما قدمها الروائي، لنكشف المنظور الروائي لمفهوم التطرف، وأثار توظيفه في توعية المجتمع من الظاهرة التي تؤسس لمنزلاقات خطيرة ولا سيما أن الروائي راهن على وعي المتطرف، وطرح فكرة معالجة التطرف قبل انتقاله من مستوى الأقوال إلى مستوى الأفعال عبر الثقافة والفن والحب

الكلمات الدالة: التطرف، المتطرف، تشكل، تفكك، الانقياد والتبعية.

(1) كلية الآداب - جامعة الإمام عبد الرحمن بن فيصل (الدمام - المملكة العربية السعودية)

مقدمة:

برزت ظاهرة التطرف في مجتمعنا العربي والمجتمعات الغربية، متخذة أبعاداً دينية وسياسية ومجتمعية خطيرة، كان لها انعكاساتها في سلوكيات بعض الأفراد وانحرفهم نحو ممارسة العنف، والقتل، والتفجيرات التي زرعت الخوف والرعب في نفوس المواطنين، وسلبتهم الشعور بالأمان. ولذا تداعت الأقلام المبدعة لرصد الظاهرة فنياً في نصوصهم الإبداعية، فكانت الرواية أقدر هذه الفنون للتصدي لمسألة التطرف بما يتيح حجمها وتقنياتها كالوصف والحوار والشخصيات من معالجة الفكرة عبر الحكى والوصف؛ إذ وجد فيها كثير من الروائيين متسعاً للتعبير عن رؤيتهم لهذه الظاهرة، ومواقفهم منها، فكشفوا عن تمثالاتها عبر أزمنة وأمكنة مختلفة. وقد ظهرت روايات عربية كثيرة، اتخذت من التطرف والإرهاب وسيلة لإثارة الأسئلة حول نشأة الإرهاب، وآثاره وسبل معالجته، ومن هذه الروايات روايات سعودية، عبرت عن هذه الظاهرة التي عانت منها المملكة بطرق تعكس تفاعل المبدعين مع موضوعه التطرف والإرهاب سواء أكان على مستوى تمثيلها أم على مستوى طريقة الكتابة، أو على مستوى الواقعية أو الفانتازيا، ومن تلك الروايات رواية "العصفورية" لغازي القصيبي، التي قدمت التطرف بوساطة السخرية والدعابة والغرائبي والعجائبي و"ريح الجنة" لتركى الحمد، التي تحكي قصة مجموعة الشباب المنذفح الحالم بالجنة ليقوموا بعملية الحادي عشر من أيلول، ويحكي كيفية تدبير هذه الهجومات، و"جانجي" لطاهر أحمد الزهراني، التي تحكي قصة مجموعة ما يسمى بالمجاهدين، و"مفارق العتمة" لمحمد المزيني، التي لامس فيها التطرف في إطار قضايا اجتماعية أخرى، ورواية "حب في زمن الإرهاب" لعبد الكريم محمد المهنا، جاء تبصرة بالحقائق، وتعريفاً للإنسان بما يدور حوله من مخاطر، و"الانتحار المأجور" لآلاء الهذلول، التي عالجت قضية الإرهاب، وأسبابه ودوافعه، والإرهابي 20 للروائي عبدالله ثابت، التي ناقشت أيديولوجية الإرهاب، ورواية "عرق" بلدي لمحمد المزيني موضوع الدراسة، التي قدم فيها الكاتب رؤيته لظاهرة التطرف من حيث تشكلها وكيفية تفككها قبل استفحالها وتحولها إلى عنف وإرهاب دموي، فكان رهانه على إنقاذ المتطرف ومساعدته في عودته إلى رشده.

لقد تتبّع الكاتب محمد المزيني في روايته "عرق بلدي" تحولات شخصية المتطرف، المتمثلة بشخصية "يعقوب" التي خضعت لمجموعة من الضغوط، التي أسهمت في تحولات خطيرة أبدع الكاتب في وصف تحولها من حياة اللهو والمجون والعبث إلى النقيض تماماً بسبب خيبات متعددة كان من أهمها الفشل في الحب، الذي دفعه للبحث عن بديل يرمم به انهياراته النفسية، وفي لحظة الضعف هذه تلقفته جماعات متطرفة مختلفة، أغرته بوسائل متعددة للانضمام إليها، فكبست وده، ونجحت في ضمه إليها، وفي لحظة ما صحا فجأة

من خدر ذلك التتبع الأعمى لتلك الجماعات عندما اكتشف غلواءها وانحرافها وخضوعها لمن يمولها، ويدفع بها إلى تنفيذ عمليات القتل لذلك قرر تصحيح مساره، بادئاً بالاستئثار بالمال الذي كلفوه بقبضه وتوزيعه لصناع القتل، ليحيا به، ويحي نفوس من كلف بقتلهم

وقد حاول الكاتب أن يبتعد عن التقريرية والمباشرة؛ ولذلك مهد لبروز ظاهرة التطرف بسرد اليوميات العابثة التي كان بطلاها السارد وصديقه يعقوب، اللذين عاشا مغامراتهما مع الأعراب في زواريب الحي القديم وأزقته، ليكشف نفسية المتطرف قبل تطرفه وبعد انزلاقه في النفق المظلم ليعمق صورته في الوجدان الإنساني

وعلى هذا فالرواية تؤسس رؤيتين متناقضتين بناء على شخصيتين: إحداهما يحدها الأمل من أجل الانتصار على الواقع، والأخرى مخذولة مستسلمة غارقة في الأوهام باحثة عن حلول غيبية نتيجة قساوة الواقع، لذلك كانت فصول الرواية سلسلة معاناة الإنسان مع الواقع

ويثير البحث إشكالية: كيف صورت الرواية التطرف، وكيف عاجته تشكيلا وتفكيكاً؟ وينحل عن هذه الإشكالية أسئلة متعددة منها:

- كيف تجلى الفكر المتطرف في الرواية؟ وهل تمكن الروائي من استيعابه وتوظيفه بصورة صحيحة؟
- هل اكتفى الروائي بالحديث عن التطرف أم حلله ونقده وكشف أبعاده؟
- كيف مارست الشخصية المتطرفة ميولاتها؟ وكيف اتضحت تلك الميول في الرواية؟

لقد قدمت الرواية صورة للتطرف عبر مراحل تشكله، والعوامل التي ساعدت على تفككه، بدءاً من المكان والشخصيات وما لايسها من ظروف كونت بنية التفكير المتطرف، وقد قدم الروائي هذه الصورة بلغة واصفة، يغلب عليها اللغة الشعرية.

وللبحث أهمية كبيرة تتجاوز اللغة إلى التوعية الاجتماعية بالأسباب التي تدفع إلى التطرف من جهة، وكيفية مواجهة الفكر المتطرف قبل تحوله إلى عنف، ولا سيما أن مجتمعاتنا العربية عانت من عقابيل التطرف، إذ لم نعثر على دراسة تناولت التطرف في روايات محمد المزيني، ما خلا دراسة تقدم بها الباحث الفرنسي يانيس خميري، لنيل درجة الماجستير في المعهد الوطني للغات والحضارات الشرقية بباريس بعنوان "مفارق العتمة، صور أدبية لنجد ومجتمعه عبر الزمن" متناولاً القضايا الاجتماعية لمدينة الرياض، وتجربة انضمام الكاتب لجماعة دينية ثم انشقاق بعض عناصر هذه الجماعة، ولكن يوجد دراسات

تناولت التطرف وصورة المتطرف في الرواية الجزائرية؛ كدراسة الشريف حبيبة التي تناولت صورة التطرف في الرواية الجزائرية المعاصرة، وقدمها لمؤتمر فيلادلفيا الثالث عشر (ثقافة الحب والكراهية)، ودراسة أخرى تناولت صورة المتطرف في المنجز الروائي الجزائري الجديدة لصوفي بوعلام في مجلة الحضارة الإسلامية عام 2014، رصد فيها شخصية المتطرف وتحولاتها.

مفهوم التطرف:

ارتبط التطرف بالدين ومظاهر التدين، وإيمان المتطرف الراسخ أنه ينفذ تعاليم الدين الحنيف، وهذا ما يستدعي تعريفه لنبيين ابتعاد الشقة مابين الدين والأيدولوجيات المتطرفة، فالتطرف هو "الغلو والزيادة في الشيء دون حاجة أو ضرورة، وهو الابتعاد عن القصد والعدل" (الجهني ومصطفى، 2007، ص234)، ما يعني أن الإيغال في الشيء فعل مقصود لغاية ما قد تنطوي على الرغبة في التغيير على غير ضرورة، وقد ارتبط معنى التطرف بالخروج "على القواعد الشفهية (العرف) أو المكتوبة (القانون) والقيم والأطر الفكرية والدستورية التي عددها وارتضاها المجتمع كتحديد لهويته وسمح من خلالها بالتجديد والحوار والمناقشة" (اليومي، أحمد2003، ص81)

أما التطرف من المنظور الديني فهو "يتجاوز الدين لحالة من الغلو والتشدد، فالتطرف هو اتخاذ الفرد أو الجماعة موقفاً متشديداً إزاء فكر أو أيديولوجية في قضية ما، أو محاولة خلق تنوع من التعصب الديني في بيئة الفرد أو الجماعة" (عثمان، 2017، ص250). والخطورة هنا في أدلجة الدين، واستخدامه لتمرير فكرة معينة لاتجد رواجاً لها إلا بتغليفيها بالدين.

كما عرّف علماء النفس والاجتماع التطرف على أنه "أسلوب مغلق التفكير يتسم بعدم القدرة على تقبل أية معتقدات أو آراء تختلف عن معتقدات الشخص أو الجماعة المتطرفة" (عبدالستار، 1992، ص192)، فالانعزال وعدم التفاعل مع الآخر، يعمق الفكر المتطرف بعداوة الآخر المختلف معه من أبناء جلدته، وهو استعداد ذاتي فردي، يظهر لدى الفرد، وينتقل من حال إلى حال متخذاً أشكالاً مختلفة في كل حال، فيؤثر في المجتمع وفي "الانتماء والولاء لدى الشباب، الأمر الذي جعل الشباب في حيرة من أمرهم ويعيشون أزمة فكرية يعبرون عنها في بعض سلوكياتهم، إما في شكل انسحاب واغتراب عن العالم، وإما في حالة عنف وتهديد لمجتمعهم، والأمران يمثلان أكبر مصدر للخطورة على شبابنا" (الحسناوي، والخالدي، 2022، ص518)

وثمة مصطلحات أخرى مرادفة للتطرف من مثل: الغلو والتتبع والتشدد والتعصب، أما نقيض التطرف فهو الاعتدال والوسطية والتسامح والحوار، وهي معان ترتبط بطريقة

التفكير، والمعتقدات الراسخة التي لا تتغير بسهولة، فالغلو والزيادة والخروج على القواعد والتشدد والانغلاق سمات تطبع المتطرف، وعنها تتحل كل أفعاله

رواية عرق بلدي:

يسترجع الراوي في روايته أحداث الماضي عبر الذاكرة، فيعيد حكاية أحداث مرت وانتهت مخلفة وراءها ندوباً، بقي يتأمل فيها، ويقلب فكرتها إلى أن وظفها في قالب روائي، استحضر فيها الغائب، واستذكر ما شهدته المملكة العربية السعودية من أحداث في مرحلة التحولات الاجتماعية والاقتصادية، التي انعكست على الشخصيات والأماكن والأحداث، فكانت الرواية قراءة في أحداث ماضية، تخضع لقواعد الذاكرة الفاعلة، إذ حولت الذاكرة مخزونها إلى عملية سردية أنتجت أحداثاً مهمة، وجعلتها متسلسلة يكمل الواحد الآخر

وتلتبس رواية "عرق بلدي" بالسيرة الروائية، إذ يسرد الكاتب الحكاية بضمير الأنا بشكل تندمج في روحه كأنه يحيل على الذات في كل ما يرويه، فيتطابق الكاتب مع السارد ليحكي حكايته التي جسدها شخصية يعقوب؛ فمنذ البداية يصرح السارد أنه سيسعيد حكاية الماضي بعدما ألحت عليه كثيراً، فجاء حكاية عبر فصول متتالية متسلسلة، أبطالها الرئيسيون الكاتب نفسه وصديقه يعقوب. وباستخدام الكاتب ضمير المتكلم يجعل "الحكاية المسرودة مندمجة في روح المؤلف، فيذوب الحاجز الزمني ما بين زمن السرد وزمن السارد، كأن ضمير المتكلم يحيل على الذات ويستطيع التوغل إلى أعماق النفس البشرية فيعريها يصدق، ويكشف عن نواياها بحق، ويقدمها للقارئ كما هي، لا كما يجب أن تكون" (مرتاض، 1998، ص 83)

ولم تكن الرواية خالصة لمناقشة التطرف الديني وتمظهراته بل جاء في سياق قضايا أخرى تحكي معاناة شريحة اجتماعية من الغرباء الوافدين الذين حلوا في الحي القديم الذي هجره أهله إلى حي جديد راق، أصر السارد وصديقه يعقوب على البقاء فيه متطفلين على حياة سكانه محاولين الغوص في خبايا حياتهم وأسرارها التي يبوح بها الليل، ويكتمها النهار، لكشفها وتعريتها، وقد كانت هذه الفصول مقدمة لبيان كيفية تشكل شخصية المتطرف ومن ثم الغوص في نفسيته، ليبنى عالمه الباطني، الذي سيحوه إلى متطرف

فيعقوب الذي جسده شخصية المتطرف عاش حياة لاهية ماجنة اكتفتها اخفاقات كثيرة، كان أشدها وطأة فشله في حب "ها" التي هام بها، ورسم لحياته معها صوراً زاهية، ثم فجأة اختفت من حياته، وتركته يواجه مصيره وحيداً، الأمر الذي ولد في نفسه حيرة، انطوى على إثرها على ذاته، يزدرد ألمه بلا معين سوى أم عجوز حاولت مساعدته، وانتشاله من هوة وجد نفسه فيها، إذ حسبته مسحوراً، فبحثت عن من يستطيع أن يساعدها

في العثور على من يفك سحره، وهنا تحرك أخوته، وأحضرُوا شباباً لمعالجته، وجد لديهم سكينته النفسية، وهذا ما دفعه للتعرف إلى جماعة متدينة قادته للتعرف إلى أخرى متطرفة، استغلت هشاشته النفسية، وسهولة السيطرة عليه، ومن ثم تحول بعد ذلك إلى صيد سهل لأكثر من جماعة متطرفة، عملت كل واحدة على استدراجه والإيقاع به، وضمه إليها عبر وسائل وآليات بدأت بغسل دماغه، وبت أفكارهم فيه، لتطويعه وإعادة تشكيله وفق ما يريدون

بدأت سيطرة الجماعة على يعقوب باصطناع حسن استقباله، والاحتفاء به، ومن ثم عزله عن محيطه، وتضييق مدار حياته ليرواح بين البيت والجامع حيث يلتقي بجماعته، ويتلقى تعاليمهم إلى أن غدا واحداً منهم شكلاً ومضموناً إلى أن انتشله صديقه من برائتهم قبل أن ينتقل به تطرفه الديني من مستوى الأفكار إلى مستوى الأعمال الإرهابية، ولكن السارد لم يقدم تفاصيل عما كان يجري مع يعقوب وهذه الجماعات ليؤكد سريتها، وعملها في الخفاء، ولكنه عاد وترك ليعقوب المجال للكلام على تجربته السابقة بعد توبته عبر الحوار، ومن خلال الحوار مرّر الكاتب رؤيته في مسألة التطرف، وكيفية تشكلها وتفككها.

كان السرد عبر استعادة الحياة الماضية في الحي القديم بصورة بدا معه المحكي وكأنه مونولوج تذكري ملغياً الحدود بين المونولوج والسياق السردى. فكان فعل التذكر هو الفعل الضاعط على مجريات الحدث السردى في النص متخذاً أشكالاً متعددة من حوارات وتداعيات واسترجاعات، ترصد تحولات الأحداث

يركز الراوي على شخصياته، ويسرد الأحداث التي عاشتها، وينطقها بما يريد في معظم الأحيان، ويهتم بوصف المكان وصفاً دقيقاً يحوله إلى مكون نصي مهم في الرواية، يدل على الشخصية وعلى التحولات الاجتماعية التي شهدتها المملكة العربية السعودية، ويختار الأحداث اختياراً دقيقاً بحيث تكون صالحة للتأليف الروائي؛ إذ لم يعد إلى حشد ها كأنها تاريخ مكتوب، بل عرضها كعناصر روائية تنمو وتتطور حتى تصل إلى نهاية معينة، وذلك بإعادة ترتيبها ترتيباً يحقق الفنية القصصية، محولاً السرد من سرد تراكم فيه الحوادث كما دارت في الواقع إلى إبداع روائي يقوم فيه بعمليات الاختيار والتوليف والتخييل والتجاوز في الأزمنة، مع أن أحداث الرواية تنهض على أحداث ووقائع من الحياة عاشها المؤلف أو كان شاهداً عليها

وقد كان للوصف أهمية كبيرة في الرواية ولا سيما وصف المكان لأهميته في إكمال صورة المتطرف من حيث نشأته فيه وتأثره به وارتباط وصفه له بتحولات شخصية المتطرف؛ بدأ الوصف بوصف الحي القديم (الخان)، الذي تحول عنه سكانه، وسكنه الأعراب، ولم يبرحه هو وصديقه يعقوب، بل انغمسوا في أحشائه بفضول لافت للوقوف

على أسرار قاطنيه، فقامت ذاكرته بتشبيد أمكنة الواقع من خلال رسم لوحة وصفية فنية تختزل الذات الإنسانية الباحثة عن إجابة لأسئلة كثيرة.

وقد ربط الكاتب المكان بالفكر، وعرّفنا من خلاله إلى هوية قاطنيه بناء على ما يحدثه المكان من تأثير في قاطنيه أو بما يؤثرون فيه فلا يوجد مكان فارغ أو سلبي بل لا بد أن يحمل قيمة تنتج من التنظيم المعماري كما تنتج من التنظيم الاجتماعي يفرض كل مكان سلوكاً خاصاً على الناس الذين يلجؤون إليه، والطريقة التي يدرك بها المكان تضي عليه دلالات خاصة (لتمان، 1986، ص83).

وقد حمل الكاتب دلالة المكان مفهوماً فكرياً واجتماعياً، وأخضعه لرؤيته الخاصة التي تفاعلت مع السياقات التاريخية والنفسية والاجتماعية؛ إذ ارتبط التطرف بأمكنة خاصة، فيعقوب في بداية تطرفه انعزل في بيته، وانقطع عن الناس إلا عن فئة تلقفته، وضمته إليها

لقد كانت أمكنة الجماعات المتطرفة سرية مغلقة (البيت، الجامع)، ولذلك عندما تحرر من الفكر المتطرف كان المكان العام أول اختياراته (طرق الرياض، المقهى) ليشرع بالحرية، والخروج من سلطة الجماعة، وقد اختار المقهى كونه مكاناً انتقالياً، أراد الكاتب توظيفه رمزياً لعودة يعقوب إلى حياته السابقة، أو محطة انتقالية في حياته، ويقوم المقهى عادة "بتأطير لحظات العطالة والممارسة المشبوهة التي تنغمس فيها الشخصية الروائية كلما وجدت نفسها على هامش الحياة الاجتماعية" (بحراوي، 1990، ص91)، ولكن المقهى هنا حمل أيضاً رمز الانفتاح على الآخر والحرية.

كما مثل المكان الطبقة الاجتماعية من خلال شخصياته التي تتحرك فيه وتعيش في تفاصيله فهي "تخترقه، وتمنحه قيمتها، ويحتضنها، فيعطيها حيزاً تحيا فيه وبه وله" (حبيلة، 2010، ص24)، وجسد كذلك الصراع بين الماضي والحاضر فالحي سكنه الغرباء، بعد أن رحل عنه قاطنوه إلى حي عصري، ولكنه بقي شاهداً على فترة من فترات التاريخ تعج بالتحويلات الاجتماعية، يقول الراوي: "شاخ حيناً القديم الخزان... فباتت أزقتنا محدودة على ذاكرة نكسها الصمت، وعا بدورها الخواء. نفض عنها قاطنوها القدماء أقدامهم ورحلوا إلى تلك الأحياء، مخلفين وراءهم تراثاً من المعاناة، صبغتها رتوش حكايات صغيرة لاتزال معلقة كتمايم على الحيطان ومتدلّية من الأسقف أخيراً سكنها الغرباء" (المزيني، 2010، ص11)، فالمكان تحول إلى بنية نصية، تمظهرت من خلال لغة السرد والوصف، وقد لجأ الراوي إلى الوصف الدقيق للمكان للإيهام بحقيقته كما في قوله "توقف بنا فجأة ليفرقنا الضجيج الفائح من أرصفة سوق البطحاء، فهو المنبه الأول بالوصول إلى محطتنا المبتغاة، كان قد اجتباننا تلاطم الأجساد كأطفال صغار على امتداد

هذا السوق العتيق الذي يشبه إلى حد كبير بازارات بومبي، أو كوا لالمبور، أو بنغلادش، تتسلل منه روائح تاريخ مختلط بعرق كل الشعوب. دهست أقدامنا بلا مبالاة قاذورات الباعة، ولشخذ هممتنا لمخر عباب الفوضى، العارمة التي ستعيث حتما بأعصابنا تنكياً (المزيني، 2010، ص15)، فالمكان عكس أفعال الشخصيات، وحدد هويتها، وأسس "الحكي لأنه يجعل القصة المتخيلة ذات مظهر مماثل لمظهر الحقيقة" (الحميداني، 1991، ص65).

وتتجسد بنيات الرواية في المكان الذي يحيط بالشخصيات، وهي من ثم تحيط به عن طريق إدراكها له، ومن ثم تشكيلها إياه حسب وعيها له، فالوعي يختزل "الأمكنة كلها ابتداء من الأمكنة الصغرى والأمكنة الكبرى المألوفة وانتهاء بالمكان المطلق" (حبيلة، 2010، ص22).

وقد صور الروائي الأمكنة بتفاصيلها الصغيرة، الأزقة الضيقة، والأبواب المواربية، الدور المتحاذنة، البيت الرؤوم، التواءات الحي، بيت الأسرار، وعكس عليها سلوك قاطنيها، وبذلك غدا المكان في الرواية "كياناً اجتماعياً يمثل خلاصة تجارب الإنسان ومجتمعه، يحمل بعضاً من سلوك ووعي ساكنيه، لذا لم يبق في نظر الدارسين، مجرد رقعة جغرافية فارغة بل يمتلئ بالخبرة الإنسانية فلا يمكن النظر إليه إلا على أنه نشاط إنساني متصل بالسلوك الإنساني، مثقل بعواطف ومشاعر، ومواقف، وهموم، وانفعالات الذين قاموا فيه، أو مروا به، إنه مستودع أسرارهم، إنه تاريخ الإنسان. بل يصير كائناً حياً يمارس حركته في النص الروائي رغم سكونيته التي وصفه بها النقد القديم، وألصقتها به الرواية الكلاسيكية" (حبيلة، 2010، ص24). وقد توثقت العلاقة بين الأمكنة في الرواية وبين شخصها، فمنحت الأمكنة خصوصيتها، وعادة ما تمنح الشخصية المكان خصوصية، كونها تخترقه "فتمنحه قيمتها، ويحتضنها فيعطيه حيزاً تحيا فيه وبه وله" (حبيلة، 2010، ص24). وهذا ما يوضحه قول الراوي: "مشينا نزرع المحلات، كم يوغر صدورنا تدافع الباعة بأيديهم المثخنة بالبضائع، يلهجون بندايات مرتلة وأحياناً مسجلة على شرائط كاسيت، ونحن نستبطن عجزنا" (المزيني، 2010، ص15-16) فقد أبان السرد ازدحام السوق، وأصوات الباعة ونوعية هذا السوق وسمات مرتاديه، ومستواهم المادي، وفي المقابل جعل المكان صورة عن مكانه "فتز هو أمامنا المدينة بتجايد تكسوها واجهات رخامية نضرة، تحتفل بتكريس الصمت على بشر مثلنا ينسلون بمكرهم الليلي، يخاتلوم بريق متعة منسية ومنتشضية من بين أعطاف الحذر والخوف" (المزيني، 2010، ص18-19) فالمدينة صامتة، مغلقة، لذلك يبحث قاطنوها سراً عن متعتهم في مكان آخر. وفي حديث الراوي عن جشع سويلم العدان، يعبر عنه من خلال المكان "يتعمد في أحايين كثيرة تقسيم البيوت الكبيرة إلى أربع دور صغيرة تدر عليه مبالغ طائلة" (المزيني، 2010، ص24).

أما المكان المغلق (البيت)، فقد تحول إلى مكان يمارس اغتيال الإنسانية، واغتيال الطهر بكل عنف، فانتقلت فكرة التطرف من العلاقات في هذه الأمكنة إلى المتن السردي في الرواية. فقد ذكر الراوي أن الأرواح عادة تفسد في الأماكن المغلقة "لذلك يتركها دائماً مشرعة أمام عين الشمس أو نور القمر وارتعاشات النجوم بما يبعث الأمل والفرحة الدائميتين" (المزيني، 2010، ص225)، فجسد المكان البيئة المهمشة، التي عبثت بها الظروف التي سحقت إنسانيتها في البيت والشارع، ولذلك كان الروائي يحرص على وصف الأمكنة بشكل يبعث الإحساس باليأس والقهر، ويقاوم الإحساس بالضيق، فهو عندما وصف السيارة التي استقلها وصديقه يعقوب أسقط عليها بؤس راكبيها بما يحدد هوياتهم، فقال: "كنت ويعقوب قد أسلمنا جسدينا لصندوق حديدي محشو بمقاعد متهاكمة يسمى مجازاً حافلة (خط البلدة). لا يحوي في بطنه سوى وجوه عمال مسخها العنت اليومي وأسما بالية تبرز أيادي نحتها الحديد والخشب والنار... نقطع طريقنا الملون بالوجوه المكدسة أمامنا فلا ترتخي ملامحنا حتى نفاذنا منها ومن لجلجات الباعة الواقفين خلف بسطاتهم المكونة من أدوات كهربائية ذات استخدامات غريبة" (المزيني، 2010، ص14).

فالأمكنة عكست سمات شخصياتها، وكان لها أثر في تحديد هوياتهم وانتماءاتهم، وكانت الأساس في توجيه سلوكهم فيما بعد. كما جسد الراوي وصديقه تقاطبات المكان؛ فهما في النهار في مكان، وفي الليل في مكان مختلف تماماً، ففي النهار يجوبان الحي القديم، ويأوي كل منهما ليلاً إلى بيته؛ إذ يعيش الراوي مع والده بعد وفاة والدته، وقد ألف صوته وهو يوقظه للدراسة أو الصلاة، وهذا الصوت يشعره بالطمأنينة؛ لذلك كان مبعث استغراقه في النوم (المزيني، 2010، ص29)، ويعقوب يعيش مع والدته العجوز بعد وفاة والده.

تشكلات شخصية المتطرف:

كان للطرف الشخصي دور مهم في تأسيس شخصية المتطرف كالظروف النفسية والاجتماعية، التي فعلت فعلها في ذات يعقوب، الذي عاش بداية حياة لاهية ماجنة، أثرت في تكوينه النفسي في مراحل الأولى، إذ اعترف لصديقه بسلوكه الشاذ مع النسوة من صديقات أمه، واستذكر في حال أشبه بالهذيان مرحلة مضت من حياته، فقال: "عندما شعرت برجولتي المبكرة وبدأ ينتصب ذكرى طفقت أجرب نفسي، أتحرش بالنساء الزائرات لأمي ساعة العصر، وقد لا أتورع عن الاحتكاك بهن إلى حد الالتصاق المباشر بأعجازهن الكبيرة... وغالباً ماكنت أنثر سمومي للحظية وأرحل مبخراً عرقي تحت هواء المكيف الصحراوي الرطب متفرصاً في زاوية من غرفتي" (المزيني، 2010، ص45)، فهذه المرحلة من حياته، أسست لمرحلة تالية كان فيها يعقوب والراوي يبحثان عن مكان يلبي حاجتهما الجسدية، وهنا يلجأ الراوي إلى الوصف عبر إشارات جسدية وحركية تفيض بدلالات نفسية، فيقول: "نصل سوق النساء سريعاً، فنغوص بين التواءات ممراته

الضيقة، حيث ترجن لذتنا فوق عش الشهوة البادية من تلوي أجسادهن الحرابية. وهنا تبدأ لعبة المواربة بأطرافنا الغافية الأخذة بالانتشار. سريعاً نللم بذورها كي لا تنمو فترطم بأجسادهن، مستشعرين حالة انتصاب جزئي مختلسين طريقنا إلى الممرات الأضيقة، حيث التصاقهن مكتومات حول بسطات الباعة بلا نظام فلا يتحسنن لارتطام الأجساد العابرة بأعجازهن المندلقة بكرم" (المزيني، 2010، ص16).

محطة أخرى في حياة يعقوب وصديقه شكلت جانباً من شخصيته، وهي مفارقات المجتمع التي ولدتها التحولات الاجتماعية، وهي صعود طبقة أثرياء يمثلها "سويلم العدان" الأمي الجاهل الذي خبر فن التعامل مع الغرباء، وأحسن استغلالهم، فازدادا كرهاً له لتحكمه في أكثر بيوت الحي المؤجرة، ويغري من أراد الخروج منه بتقديم عروضه السخية، فكان "ينفحهم العقار المملوك بأقل سعر للمستأجر في السنة الأولى ثم يضاعفه في السنة التالية... يتعمد في أحيان كثيرة تقسيم البيوت الكبيرة إلى أربع دور صغيرة تدر عليه مبالغ طائلة. كان لايسأل البتة عن جنسيات النزلاء أو هوياتهم ماداموا غير سعوديين، مما يرفر له سهولة ومرونة في التحكم والتغلب على مشكلات جملة يواجهها كثير من العقاريين" (المزيني، 2010، ص24)، وليس هذا وحسب بل كان يستفز مشاعرهما بزواجه من صغيرات جميلات يغريهن بأمواله، على حد قول الراوي: وهذا "ما أخذ قلوبنا بدبابيس كاوية اقترانه بهذه الفتاة الحسنة" (المزيني، 2010، ص35). هذا الكره لسويلم ولد دافعاً لسرقتة والتمتع بأمواله.

ثم نمت لديهما حال من الفضول للنبيش في حياة الناس، فافتحما حياة أحد الوافدين "فريد" ووطدا علاقتهما به من أجل زوجته هنية، وبدأ يمدهما بالفيديوهات الممنوعة التي توقظ في نفسيهما اللذة فتمتد أعينهما إلى كل امرأة حتى زوجته التي أكرمتها، وراحا يغتصبان منها ما شاء لهما من المتعة. (المزيني، 2010، ص66-65)

ويتابع الكاتب تشكيل هوية المتطرف، فيصور تهور يعقوب وإمعانه وصديقه في اتباع نزواتهما حتى زج بهما في السجن نتيجة تطفلها على أسرار البيوت وهتك حجبها ليلاً، إذ كشفت حياتهما الليلية أسرار الحي التي يخفيها الليل، حيث تسري فيه الحياة بكل ثقلها بالرديلة، وفي النهار يطوى سر الليل ساحقاً سحنة الرديلة وينثرها في وجه الشمس بضوئها الفاحش، (المزيني، 2010، ص72)؛ ففي الليل تتحرك كل أفاعي الشهوة والمجون وفي النهار تنعكس الصورة وتمحو أضواء النهار على الأفعال المشينة، فقد كانت حكايات الليل "تزحم ليلنا المشغول بالمتعة والأنس... شرب وطرب ورقص ووجوه حسان" (المزيني، 2010، ص101)

وفي مرحلة تالية من تكوين يعقوب النفسي، يقع في حب "هيا" الذي تمكك كل

جوارحه على مرأى ومسمع صديقه الراوي الذي يصف بدقة وقع الحب في نفسه: "كنت أطوق نفسي منتظراً تضميد كلمات يعقوب النازفة حباً و غزلاً في قلب (هيا) المرتجف كأرض يابسة هطلت عليها أمطار غزيرة في لحظة" (المزيني، 2010، ص102). لقد ملكت هيا قلب يعقوب فمضى "يثور مهجته بما تركت له "هيا" من أياد غادرة... أبحر معها في فضاء ساحر على متن سفينة تصارع أمواج أعالي البحار مصنوعة من قوس قزح. ظل يللم المدى بين يديه ويسرج كلماته، ينفذ منا عبارات تتراقص على أنغام الحب.. يرسم وجه حبيبته من كل اتجاهات السماء ومكونات الأفق... لقد نذرت نفسها ليعقوب واشتغلا معاً بتطريز أحلامهما على بياض الشمس البكر حيث كانا يقضيان الليل كله حتى إشراقة الصباح وهما يرتادان المستقبل بأحلام واعدة نادرين نفسيهما لهذا الحلم (المزيني، 2010، ص105)، هذه العاطفة المتوهجة خبت في ليلة مكفهرة غاضبة، إذ لم تأت (هيا)، انتظرها يعقوب بروح شفافة لاتمل الانتظار مضى أكثر من أسبوعين فبدأ الأمل يتلاشى كحلاوة قلب سكر يذوب في الحلق ويخبو مذاقه. انطفأت آخر شموعه التي أوقدتها في قلبه واحترقت روحه ساعة كشر الزمن عن وجهه القبيح، أفصح عن مكره، توأرى وجه حبيبته خلف جدران رخامية مجهولة بلا اتجاهات في مدينة تعيث بها الأسرار فلا تحمل سوى أفنعة (المزيني، 2010، ص150 - 106)، كان الحب سلاحه في الحياة، وفجأة جرد منه وغدا بلا حياة ولا سلاح، فتش عن حبيبته في كل مكان، ولكن لم يعثر لها على أثر، وقد حاول صديقه ترميم نفسه من خلال الذكرى، ولكن لم تعد كلماته ترمم له عروقه الحامية أو ترطب نفسه المتشققة يبساً (المزيني، 2010، ص106)، وهنا بدأ التحول الكبير في حياة يعقوب، إذ انتقل بين صفتي الحياة المتناقضتين، ودخل في مرحلة جديدة لا يعرف مآلها، وهذا ما أفصح عنه يعقوب فيما بعد لدى حديثه عن معاناته، التي كانت سبباً في تطرفه عندما أعطاه الراوي فرصة للتعبير عما اعتراه لدى اختفاء هيا من حياته فيقول: "كان تورايبها كافياً لنحر شاب مثلي في مضمار الحب" (المزيني، 2010، ص168)

لقد اكتمل تشكل شخصية المتطرف "يعقوب" بعد مرورها بمراحل من الفقر واللهمو والمجون والفشل في الحب والانتواء على الذات، واستلاب الإرادة، وهذا ما أودى به إلى الانجراف في تيار لم يكن يوماً من أنصاره

إن المراحل التي مر بها يعقوب بكل ثقلها من اجتماعية ونفسية، شكلت البنية الفكرية التي أنتجت التطرف، في مقدمتها الفشل في الحب الذي دفعه إلى الهروب من الواقع، ومن ثم الانسلاخ عن حياته السابقة إلى ماظن فيه الخلاص، وقد وصف الراوي بداية انسحاب "يعقوب" من الحياة وكأنه يرثيه بحميمية بلغة تنبض ألماً وحرناً قتلون السرد بلون نفسية الراوي "كنس عن عظامه ارتعاشات النزوة الليلية في بيت العمّة.. التهمه عطشه منزوياً في ظلمة غرفته حسيراً يتكسر حداداً على ما آلت إليه حاله داخل زاوية قصية من روحه المعذبة وقلبه المختلج باليأس والأمل الكسيح" (المزيني، 2010، ص106-107).

وتتقدم الحال بيعقوب، ويدخل في صمت وجمود، وينعزل عن الآخرين حتى بات لا يراهم، ولا يلتفت إليهم، حتى إن صديقه - الراوي - تعجب من انقلاب حاله، فكان يتقصّد المرور بجانبه "فلا تهتز عيناه الواجمتان وهما تسوخان في غيابة جب سحيق" (المزيني، 2010، ص107)، ولعل في جمود تعابيره تجسيدا لصورة الضياع بكل أبعادها، لذلك ظن المقربون منه أنه مسحور، فتوسّلت أمه علاجه من إخوته لإنقاذه وانتشاله من حاله التي وصل إليها، فأتوا له بمن يعتقد أنهم قادرون على شفائه، فكان يختلي به بعض الرجال إلى أن غدا في حفاوة خاصة من لدن كتيبة من الشباب المتدينين، يتوافدون إليه بعيد صلاة العصر فلا يخرجون إلا ساعة اندحار الشمس في باطن الأرض" (المزيني، 2010، ص107)

بدأ يعقوب حياة جديدة، تغير فيها مظهره، وبدل جلده، فاعتاد الخروج مع جماعته، وكان يلازمهم إلى صلاة المغرب ولا يعود إلا في ساعة متأخرة. كان صديقه يراقبه وهو عائد من بيت أم صنات فجرأ، فيتتبع خطواته، ويصف مظهره وما يعتريه من حالات غريبة، إذ كان: "يخرج من المنزل متجهاً نحو المسجد مطموراً بعباءة وبرية، فلا يبادلني أدنى التفاتة. أسمع صوته يعلو بتراتيل آيات قرآنية كأنه يطرد روحاً شريرة تجتلد حوله ثم ينفث ذات الجهات الأربع، ناديته فلم يسمعي. مشيت أمامه فتصاعد حسه بتلاوة القرآن دون أن يحرك جفنه نحوي، حتى راعني منه ما رأيت فوليت منه فراراً" (المزيني، 2010، ص108)، لقد أدخل المنظر الرعب في قلب الصديق، الذي هاله التغير الحاصل لصديقه في هذه المرحلة التي توحى أنها فترة تحضير المتطرف، التي تبدأ بتفريغه من إنسانيته ومن ثم عزله للسيطرة عليه والانسحاق وراء فكر الجماعة، وهذا ما أضفى جموداً على ملامح يعقوب، أدخل الخوف في قلب صديقه، هذه البداية كما يراها الروائي بداية دينية خالصة أولاً، ثم تحولت إلى دينية عقائدية، وهنا مكنم الخطورة.

ويعمد الراوي إلى وصف التغيرات التي طرأت على مظهر يعقوب الخارجي موظفاً تقنية الوصف كما عرفت في الرواية الواقعية، مع أن الرواية تندرج ضمن ما يعرف برواية تيار الوعي، ليميز شخصية المتطرف عن غيره شكلاً، بما للشكل من أهمية في تحديد السمات العامة للسلوك إضافة إلى الإشارة إلى التبعية المطلقة وانعدام التفكير في الانقياد للجماعة. لقد "أصبح متديناً غضاً تنز فوق حافات وجهه لحية جعداء كثة وصارمة.. تبرز من عينية حمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يكسوه ثوب قصير وشماع يصب فوق رأسه بهيبة طاغية، يلفه بحميمية مفرطة، يشاغب اصطفاق الرياح. كان بارعاً في تفويض هواجسه الشيطانية وملتقاً بشكل لولبي حول الجماعة يتجاذبه همها وانتمائها السماوي" (المزيني، 2010، ص 108)، فالوصف الخارجي للشخصية يدل على ما تفرضه الجماعة من زي موحد لأعضائها والتزامهم به ووقوعهم في إطار شكلي موحد، ولكن الكاتب يراهن على توبة صديقه لذلك وصف تدينه بالغض، لأنه بداية رغب في

التسامي الديني فقط، ولم يكن يعرف أن دربه ستقوده إلى منزلق خطير، إذ دخل في عزلة انفصل فيها عن المجتمع، وكأنه وقد "ابتلغته غيابة مديدة" (المزيني، 2010، ص 108)، كانت كافية لغسل دماغه.

لقد قدم الروائي هوية المتطرف التي تتخذ من الشكل الخارجي ما يميزه عن البشر، وما يشعره بالانتماء إلى الجماعة الدينية، وبعده أكثر عن الآخر في الوقت عينه، فرسمه في صورة الشخص العقائدي الذي يتخذ من اللحية واللباس ميزة تميزه عن الآخرين، وهو ما أعطاه هويته الخاصة التي يشترك بها مع غيره ممن ينتمون إلى التطرف، وهنا لجأ الكاتب إلى تقنية الوصف، والوصف تقنية تعيننا في هذا المقام ليس كعنصر تابع للسرد، وإنما بوصفه تقنية من التقنيات التي يلجأ إليها المؤلف نفسه ليبين موقفه مما يحدث، لذلك أخذ الوصف حيزاً واسعاً في الرواي، وقام بدور كبير في بناء النص الروائي إلى جانب السرد والحوار

ولعل الكاتب قصد إلى الوصف هنا ليبين ثقل الزمن ووطأته عليه، فهي مرحلة القطيعة التي عزل فيها يعقوب نفسه عن صديق عمره. وفي وقوف الحكاية هنا غاية لإكمال الصورة، وتقديم فكرة وافية عن التغيرات التي لحقت بالشخصية التي عزلت نفسها في إطار الجماعة التي انتسب إليها.

لقد ارتبط الوصف هنا بلحظة معينة وهي اللحظة التي توقف فيها السرد للاستغراق في تفحص حال يعقوب الجديدة، وقد وصفها بدقة بطريقة تستوعب شمولية الوصف، الذي يهتم بالشكل الخارجي للمتطرف، وحركاته، وصوته وهيئته، أي التشكيل الخارجي لصورة المتطرف عن طريق النظر والتوسم "كنت أراقبه" والمراقبة تحمل في طياتها التدقيق والملاحظة والتتبع الحالات اللازمة لدقة الوصف

تفكيك التطرف:

لما كان الوصف لما يشاهد عياناً، يتناسب مع ما تريد الرواية تقديمه من وصف التغيرات التي طرأت على شخصية يعقوب بعد انتمائه الجديد، لتحديد هويته الجديدة، فقد لجأ الروائي في تفكيكه للإرهاب إلى الحوار الداخلي والخارجي، ليبين لنا الحلقات المفقودة في الرواية، ويصل ما انقطع بينه وبين صديقه، فكان المونولوج تقنية يكشف عبرها عوالمه الداخلية، أما الحوار فقد لجأ إليه عندما أراد أن يكشف عن داخل شخصية المتطرف واستجلاء رؤيتها لما حدث لها.

والروائي حاور المتطرف، وأعطاه فرصة ليكشف عن ذاته ولكن بعد انقلابه على الجماعة، واستخدم حديث النفس "المونولوج" ليبين ما يساوره من قلق إزاء حال صديقه،

ويكشف عوالمه الداخلية، ويجهر بخباياها، ويكشف انفعالاتها، وقد أكد "ليون أيدل" على أثر هذا الأسلوب في التعبير عن فكر الشخصية الروائية وتقاطر أفكارها، "والانعطاف الباطني للشخصية وتعبيرها عن تجربتها العقلية"، (أيدل، 1959، ص11).

والمونولوج "تقنية خطابية تعرض بطريقة مباشرة الصوت الداخلي للشخصية الروائية، وحياتها النفسية الداخلية" (ضويو، 2014، ص75) فمن خلال محاوره الروائي لذاته كشف عما يدور في ذهنه إزاء تقصيره في حق صديقه، إذ كان يحدث نفسه معنفاً "هجست إلى نفسي بحثت داخلها عن تلك العروق الهشة لترميمها فربما كانت سبباً في تقاعسي عن كوكبة يعقوب، فلا أبقى أعزل أو مجرداً من سلاح أطعنه في أحشاء كل أسنلتي المتورمة، كلما التقيته معرضاً واجماً متلافياً ارتطام أعيننا ببعضها تنغرس أسئلة تعذبني وتوصد كل أبواب يمكن الانزلاق منها إلى جماعته، لا أصدق أنه طمس تاريخاً تحدثت عنه خطواتنا المرسومة على قارعة الطريق والجدران القانطة من تلوينها بعباراتنا السمجة وتضحك لها كل الأبواب الزائغة على مغامراتنا الليلية" (المزيني، 2010، ص109-108)، يتأسس هذا المونولوج على استراتيجية البوح التي تدفع بحركة الحدث، والمونولوج يشتغل كبنية سردية تكشف ما يدور داخل شخصية الراوي، إذ يستبطن ذاته ويحاور ماضيه، ويتعجب كيف تنكر لها يعقوب، وأدار لها ظهره، لبدأ مرحلة جديدة. ولعل الكاتب قد لجأ إلى هذه التقنية ليفجر مكبوتات ذاته، ويرسم صورة لذاته المشظية بين الماضي والحاضر، ويقدم رؤيته للمتطرف القائمة على التبعية من دون تفكير أو إعمال للعقل، والانعزال عن المجتمع. يقول الراوي: "في تجن فاحش أدار بوصلته نحو شباب مزدهين بحركة جماعية لا تنفلت عن مساراتها المحددة سلفاً كأنهم إطارات لعربة يحركها قائد واحد بامتثال وتبعية متناهية.. آخر لحظة رأيت كان هارباً برفتهم لم يبادلني حتى إشارة تنبئ عن وجودي حوله، ثم رأيت مكسواً بذقنه الكثيفة. تلمع عيناه بانكسار حاد يستبطن المقت. كان قبلاً يخرس أنين الفتيات الساحرات ويقطع وتيرة شبقهن الأزلي" (المزيني، 2010، ص109) يثير منظر يعقوب تساؤلات الراوي واستغرابه، فيقارن بين الماضي والحاضر، ليعمق صورة التحول التي حولته من شخصية لاهية عابثة إلى شخصية لا تملك من نفسها شيئاً، شخصية مسلوقة الإرادة، تسير بغريزة القطيع بلا إعمال للعقل، فتتحول إلى آلة صماء بلا إحساس ولا عاطفة ولذلك ألح على صفة المقت والانكسار في وصفه ليعقوب بعد تطرفه

ظلت قصة يعقوب تنكأ جراح صديقه، الذي ما فتئ يذكر تحولات حياته؛ ولذلك دأب يبحث عن السر الكامن وراء هذا اللغز، فانصرف إلى القراءة والمطالعة باحثاً عن سر الكون والعلاقة بين الغائب والحاضر، وأخذ يبحث عن سبب انقلاب حياة يعقوب وأثر ذلك في نفسه، فقال: "العل انقلاب حياة يعقوب بالبعدين النفسي والروحي كشف عن مشكلة جرفنتي لتيارات متصارعة لازلت أبحر في ريعانها لم أستفق منها حتى لحظة اكتشافي

ذات ليلة وإنني مقابل تماماً، وبلا فاصل، لجسد يعرف نفسه إنه زوجتي" (المزيني، 2010، ص116)، كان البحث عن السر شاغله فدخل في حال من العرفان استغرقت وقتاً حتى عاد إلى الواقع

وعندما أراد السارد أن يبدأ بتفكيك الإرهاب لجأ إلى تقنية الفلاش باك، وهو تقنية الارتداد، التي تعني الارتداد نحو حكاية كان يمكن أن تذكر في موضعها من السياق السردى فأرجأ تقديمها لغاية من الغايات الفنية التي منها حب المزج بين الحاضر والماضي، وإدماج أحدهما في الآخر بطريقة تتوخى الحيوية والحركة المتجددة في السرد، فقد غابت "هيا" تماماً، ولم يأت السارد على ذكرها بعد اختفائها، بل تحول إلى حكاية أخرى، وفجأة يذكرها، ويسأل عنها أم عزوز، فتخبره بما يعينه في البحث عن وسيلة تخرج يعقوب من شرنقته، وبما أن تطرف يعقوب كان بسبب فشل حبه، فماذا لو عاد هذا الحب؟ وهل أبقى له التطرف مكاناً للحب في نفسه؟

لقد كان العثور على "هيا" بداية تفكك التطرف، فعندما فتحت أم عزوز صندوق أسرارها، وباحت للراوي أن الحسرة مازالت "تعصرها، حينما تتذكر يعقوب... تصدق أنها أرتني صورته التي أخفتها في قلادة على شكل قلب تعلقها دائماً على صدرها" (المزيني، 2010، ص154)

هنا حضرت هيا ذكراً، فقفز ذكر يعقوب أيضاً، وهنا راودت الراوي فكرة زيارة يعقوب، ليتفقد أحواله، وينتزع من وحدته، فتساءل لماذا لا يطرق باب بيتهم الصديق ويهزه من عروته؛ لينتزع "هذا الذي تسكنه الوحشة وحيداً في عالم نسيان زمني مأفون" (المزيني، 2010، ص159). فعزم على الاتصال بصديقه يعقوب، وعندما سمع يعقوب صوته بات "خسناً يجتر لواعج الهم ثم صرع سماعة الهاتف دون أن ينبس بكلمة أو حتى حرف... تزيح ستارة الأيام عن مهجته الطافحة بالأذى. تذكرت آخر مرة رأيته فيها. كان هارباً يستجمع نظراته بين أقدامه مشيحاً بوجهه عني ذلك اليوم، كان هارباً، أما اليوم فماذا سيكون؟" (المزيني، 2010، ص160). لقد امتد الزمن الماضي بين رفع السماعة وإغلاقها، وعادت الذكريات الأليمة لتطفو أمام عيني الراوي، ففي السابق طوى كشفاً عنه، أما اليوم فهل سيستجيب له؟

لعل تساؤلاته هذه كانت لمواجهة ما يساوره من قلق وحالات الحيرة التي تعتريه، والانفعالات التي تعصف به، والمشاعر التي تجتاح دواخله، الأمر الذي يخيل لنا أنها ذات تحاور أخرى فتجيبها؛ وتهدي من شدة روعها، وتخفف من صراعاتها النفسية، فشخصية الراوي هنا "تجرد من نفسها ذاتاً أخرى، تحدثها وتصارعها إذا لزم الأمر؛ لذا يكون لمثل هذا المونولوج خاصية فنية تميزها تتمثل بقدرتها التي تمنحها للإنسان عندما يعجز عن الجهر بهوموم وأفكاره مباشرة" (خليفة، 2009، ص132)

ويقتحم الراوي عزلة يعقوب، ويعطيه فرصة لأن ينفث مافي صدره، إذ لم يشأ وأد صوته السردي، ولذا لجأ إلى محاورته ليبيّن المراحل التي قطعها بعد عهده بحبيبته "هيا" وتحوله في فترة علاجه وانتقاله من مرحلة إلى أخرى.

وقد اكتسب الحوار أهمية في الأعمال الروائية كونه يعد بنية من البنى السردية، يمنح الشخصية فسحة للبروح بما تكنه من أفكار ورؤى وانتمايات وميول

وقد وظف الروائي المزيني الحوار عندما أراد أن يظهر خفايا نفس المتطرف ورحلته مع التطرف ليكشف لنا عما أضمرته أفكار الشخصية، فأعطى للشخصية دوراً في تقديم نفسها، لتتشكل في الأخير صورة متكاملة للشخصية المتطرفة

فالراوي عندما اقتحم حياة يعقوب بعد تردد، رأى وجهاً بأشلاء لحية، فجعل شكل اللحية علامة دالة على تفكك الفكر المتطرف، وهي علامة دالة على انتهاء حقبة سوداء من حياته، دفنتها بقطته، وكان أول رد فعل على حياته الماضية إشعاله سيجارة، والتدخين فعل تمرد على تعاليم الجماعة، ومن ثم كان توجهه وصديقه نحو مقهى الرمال، وهنا حاول الراوي استفزاز لسان يعقوب للبروح والكلام بما خبأته تلك الأيام، ونجحت محاولته، "فاندفع يحرك لسانه بعبارات حانقة:

- تريد أن تعرف باختصار رحلتي التي بدأها معاً في بيت العمّة. كنت دلفت وحيداً في معصرة حبي لـ "هيا" من غرست رائحتها في أقصى شعيراتي الدقيقة... وغابت فجأة دون أن أسألها من تكون. خرجت تلك الليلة الحزينة المكتئبة من بيت العمّة أجتر خطواتي الراكسة في حيرة وتخبط ضبابي يحيرني هذا الغياب، تنفست برائحة أمواج كانت تتكسر بين أضلعي، أجرجر خطواتي التائهة، أقلب وجهي في ظلمة غاشمة بحثاً عن وجهها. كنت أمام منحدر يومئ للغروب غير مكترث بجذادات أعين تسفك فضولها الاعتيادي، مشيت بخطوات مبتورة أصق بذاكرة محترقة كجرذ صغير يحاذر غائلة تنصيده ببلادة وجمود، أندحر في كوة ذاتي المجروحة... اكتشفت ليلتها أن (هيا) سحقّت كبريائي وهدمت عظمة الحب... بت أخلق في هباء يتصيدني كلص طريد كاشحاً أضواءه النارية المضطربة في حلقة الأوقات الزاحفة كأفَاع سامّة متللفة لغرس أنيابها بين مفاصل التيه الذي أحسه" (المزيني، 2010، ص165).

لقد منح السارد التطرف مساحة للإبانة عن نفسه، فاستعاد ماكان لغياب (هيا) من وقع في نفسه، وكأنه يحاكمها كونها مصدر الحب والعذاب في الوقت عينه، فحياته بسببها انقلبت رأساً على عقب، وأدخلته متاهات الحياة ومنعرجاتها الوعرة، فأخذ يضرب في الأرض من غير وعي، لقد كان غياب الحبيبة كافياً لتحويل حياته جحيماً لا يطاق، ولذا بحث عن شيء

يشده إلى الحياة، يلوذ به ولو كان وهما، وهنا كانت اللحظة الحاسمة إذ تزامن الغرق في لجج الضياع، مع هرولة أنفاس حاولت جذبه من برائن الموت فوجد نفسه "مغموراً بتيك الأنفاس المهرولة. تلتف أنفاسهم على أحجيات عرافين وحدهم شخصوا حالتي وعثروا على علتي ووصفوا دوائي، كان إكسيراً من ينبوع الحب والحياة لم تكن أرواحهم تتوق لأكثر من السلام والحب الإلهي.. عرفت فيما بعد سر اكتسابهم لمسمى يعرفون به وهو (التبليغيون)؛ لأنهم يبلغون المرء سبل السلام ويدلون له حبال النجاة، هؤلاء حملوني على أكف الضراعة والابتهالات" (المزيني، 2010، ص168)، لقد تأثر يعقوب بهذه الجماعة، التي استمالته بنبلها، فظن بذلك أنه قد بلغ طريق السلام الروحي "أحسست أنهم أعادوا لي روحي المفقودة وغسلوني من كل أدراني" (المزيني، 2010، ص169)، فهل أراد الروائي أن يحدد الميل البرئ إلى التدين بداية لمرحلة يسهل استقطابه فيها؟ فهو يقول: "إلى أن تقاذفتني موجات الجماعات متنقلاً بين كل الأفكار: سلفيين وإخوانيين وسروريين وقطبيين وجهاديين.. سوقوني كعملة نادرة بين مبادئهم وأفكارهم وعرضوني على وجهائهم وعرابيهم كم تعرض صفائح الحديد الطرية على نار لاهية فتنشكل بلحظة بلا طرق أو تعدين إلى أن ترحلت روحي الشفيفة في برائن القادة الانتحاريين في سبيل إعادة بناء الحضارة الإسلامية تحت راية الخليفة (أبو عبد الله) هؤلاء استعدوني حتى صار وجهي رصيفا في طرق العابرين بأقدام جرداء لاكتشف في رمق السؤال الآخرين أن روحي أكلوبة تسكبها سماء الغيب من كهانات أولئك الرجال.. جردوني من أسلحتي، حكمتي تجربتي واستندروا عطفِي وحلبوا مدامعي، أموا محاجري، وحققوا روحي بهيذ أمطار النشوة. كنت أتكسر بين أيديهم كشموع الحانات وقت اغتباطها بعهرها الليلي ومواويل ساحرة. جذبوني إلى جهنم قديم وعرضوني على جنات الخلد كرمية من حنجرة مبوححة متدلالية.. لقد لبسوني بعد أن فرغوني من سحري، كعاشق سملوا عيني وزرعوا أعينهم. صرت لا أرى إلا وميض احتراقات الأجساد وهي تزف إلى الجنة، أعطوني كل شيء جنة ونقوداً وحزماً ناسفاً" (المزيني، 2010، ص169) "هكذا نزفت مهجته بقيح معاناته وآلامه (المزيني، 2010، ص170)

بهذا الوصف تكتمل صورة المتطرف، الذي هيأته الجماعات ليكون إرهابياً عنيفاً بعدما رغبوه في الفوز بالجنة عن طريق القتل والموت الذي سيكلف بزرعه في الناس عن قناعة، لإيمانه "بأيديولوجيتهم الدينية المتطرفة، والأهم من ذلك يقينهم المطلق بصحة ما يقومون به من أعمال إرهابية" (الحيدري، 2015، ص227). ولكن صحوة الضمير تحول دون تحوله إلى إرهابي، فيترجع، ربما لأنهم لم يستطيعوا قتل ضميره، أو لأنه لم يتشبع بالفكر المتطرف، لذلك لم يستطيعوا تحويله إلى إرهابي

فالنقص الذي عانى منه يعقوب، دفع به إلى التعويض لإشباع حاجاته النفسية، فهو لم يستطع أن يحقق ذاته إلا عبر الإشباع الروحي من خلال جماعة التبليغيين، وهم طيبون لا يحبون القتل، ولكن اعترافات يعقوب بطبيعتها، لم يحل دون إشارة الكاتب إلى أن تلك المرحلة تمهيدية، تتطلبها المرحلة الثانية؛ فيعقوب وجد في جماعة التبليغيين دواء لعلته، فقدموا له سبل السلام وأدلوا له حبال النجاة، وهذه الحفاوة التي لقيها لديهم أغرته لأن يتعرف إلى جماعات أكثر تطرفاً، حدّد انتماءها من خلال مسمياتها، التي أوحى بأنها دخيلة على المجتمع السعودي، وهنا كانت التساؤلات الكثيرة عن سوق هذه الجماعات

بدأت رحلة تطويع يعقوب بعد أن خبرته الجماعة المتطرفة، ووجدته عجيبة غضة، قابلة للتشكيل وفق ما يريدون، فنقلوه إلى مرحلة القادة الانتحاريين، مراحل متعددة من التطويع يمر بها المتطرف تسلب إرادته، وتسدل على عينيه غشاوة تحجب الرؤية، وتعطل التفكير، ويغدو الهدف الأساس بلوغ الجنة بقتل الآخرين. هذه هي فترة التحضير، التي يفرغ فيها الشخص من إنسانيته، ويحوّله إلى أداة، تغيب العقل والتفكير. وبهذا التصريح يفتح لنا آفاق التخيل لنعايش الأحداث التي عاشها، وتخيّل حجم الألم الذي انتاب نفسه برفقة الجماعة

كان الخوف ملازمه لذلك كان يتوسل من صديقه الاحتماء به كي لا يعود لأفكار الوحدة وتهويمات الماضي. وهنا فتح الراوي لصديقه بيت أسرار جديداً وهو عالم الكتب والقراءة، ليستمرئ حقائق كانت إلى قبيل قراءته لباولو كويلو غائمة عن عقله. (المزيني، 2010، ص175)

بدأ اعتراف يعقوب باسترجاع ما اعتصر حياته من ألم، وبقي عالقاً في ذهنه، ولم يستطع نفيه من ذاكرته، فاستعاد ذائقها بكل ثقلها، وعقد العزم على تغيير ذلك كله بعد أن قرأ رواية قدمها له صديقه ليغسل بها صدأ فكره، ويغير نظرتة إلى الوجود والكون، فأقسم " أن يعيد خارطة حياته وهو يردد في لحظات الطفش المستعرة داخله باستفزازات متعمدة من أقران الماضي عبارات التحدي والصمود.. أفرضته مجموعة كتب رآها وأعجبته في الفن والفلسفة والفكر.. قرأها في ثلاث ليال قال:

- سأسحق ذاكرتي المعشبة وأحرثها من جديد.

طلب مني كتباً أخرى بعينها، أخبرني أنه دونها من قائمة مراجع عثر عليها في قائمة ممنوعات كانت تعمم بين الجماعات ليل نهار، كما تعرض أرواح الفجور على أبواب جهنم مستشعرة أنفاسها الحارقة. كنت أعطيته رواية (الخيميائي) لباولو كويلو فأعاده لي من الغد مشرق الوجه مبتهج الأسارير، انفرجت من روحه شرفة تطل على شخوص يحملون أزمته ويحددون أمكنتهم، فأخذته من يده إلى مكتبتي الصغيرة المنتقاة بعناية، صافحت عيناه كل الأغلفة وقال مازحاً:

- أرجوك اتركني هنا واذهب وسأمر على مكتبك لشهر واحد، الزمن طويل. (المزيني، 2010، ص173-174). كان يعقوب نهما للمعرفة، عجلًا للوصول إلى حقائق كانت غائبة عنه، لذلك راودته فكرة الانطلاق والحرية (تكسير الأقفال وتمزيق الأغلال، وحرث ذاكرته المعشوشبة) ليعيد بناء نفسه من جديد. فبدأ رحلة وجوده بالعودة من الظلام إلى الانفتاح عبر القراءة، فتجاوز السكوت والحيرة والتشتت إلى اليقين، ولعل في نهم يعقوب للقراءة تكمن فكرة الرواية وفلسفتها في التأكيد على فشل الجهل والإرهاب في تغيير ما يحمله الإنسان في داخله من حب المعرفة، وفي المعرفة تطهير النفس من التطرف.

لقد كانت الرغبة في امتلاك كتب لائحة ممنوعات الجماعات المتطرفة خطوة نحو نقض فكرها، والانعقاد من أسرها، وبما أن التطرف فكرة فإنها لا تهزم إلا بالفكر.

وفي هذه الأثناء وبينما يسترسل يعقوب في سرد اعترافاته، بلغ أسمعهم دوي انفجارات حي المحيا في الرياض، وأسقطت شظايا الدمار الأمر الذي ولد أسئلة لانتتهى، ولكن يعقوب تنفس الصعداء أنه لم يقم بهذا العمل، وكان قد كلف بمهمة هذا التفجير " لولا أن السحر المعقود فك باكراً" (المزيني، 2010، ص173-174).

صحيح أن الكاتب لم يشير إلى شخصية الإرهابي الانتحاري، ولم يحللها، بعد الاعتداء الإرهابي، وإنما اقتصر على محاكمتها فكرياً وفنياً، ومرّر رؤيته فيما آلت إليه آلة الإرهاب من قتل الأبرياء في المملكة العربية السعودية وغيرها من بقاع العالم بعد تفجيرات حي المحيا، فكان يتساءل: "متى يكف هؤلاء المجانين عن قتل الأبرياء الأمنيين؟ وإلى متى تنتهي مفارز العهر الإرهابي عربدتها ومجونها على حساب جمال الخلق وإبداع الخالق؟" (المزيني، 2010، 183) فأدان الكاتب الإرهاب وحاربه فكرياً، وبين فلسفته إزاءه؛ فالإرهاب قتل للإبداع والجمال، وتشويه للخلق

والكاتب ضمناً يفرق بين التدين وبين ادعائه الملتبس بأعمال القتل، ويصرح أن القتل يحارب بالحب والحياة، اللذين "هما الصياغة النهائية لكلمة وطن التي تعني الحياة والحب معاً" (المزيني، 2010، 187)، وهي الفلسفة التي انتهت إليها يعقوب بعد تجربته المريرة مع الجماعات المتطرفة، التي التحق بها " بحثاً عن الحياة والحب كانوا يحملون نطقته لكنه تخلق مشوهاً وخرج إلى الدنيا أشلاء" (المزيني، 2010، 188)، وبعدهما خبر عقيدتهم وجد أنهم أعداء الحياة، ولا يمكن البحث عن الحب لديهم، والحب فن الحياة ونحن " وقتما نفهم لغة الحب سنتعلم الحب سنتعلم فن الحياة، وسنقطع تذاكرنا في أجواء آمنة، نعيد ترميم أعصابنا المهترئة ونستلهم أرواحنا من تعويذة ساحر كي نمر من بين الخطوط الحمراء العارية (المزيني، 2006، 188)

لقد ترك الكاتب ليعقوب فسحة يتحدث فيها عن أيولوجية التطرف من خلال الحديث عما تلقاه من تعليمات على أيديهم يعبر عن أيديولوجيتهم، التي تزرع الموت في كل مكان، يقول: "كيف لانحذر الموت الذي كنت ألبس قميصه الناسف مع إشرافة كل صباح، أنصفح وجوه ضحاياي كقائد مغوار بين يديه سلاسل قوية يقتادهم بها إلى الجنة. (المزيني، 2010، 189). فالاستعداد المسبق للعملية الانتحارية، ومراقبة الضحية والدافع إلى التفجير الانتحاري يقوم على إيمان مطلق واعتقاد راسخ بصحة مايعتقدون وخلصاً من الدنيا للفوز بالجنة عبر القتل، فلسفة غريبة للجماعات الإرهابية، فكر فيها يعقوب ملياً وردد مستكراً (عجبت لأناس يقادون إلى الجنة بسلاسل).

ثم يسرد الراوي على لسان شخصية يعقوب ما يمكن أن يكون محاكاة حقيقية واقعية لما يقوم به الإرهابي بعد تأهيله، والمخاطر التي يمكن أن تلحق بالناس من جراء العمليات الإرهابية الانتحارية، والدور المنوط بالإنسان الحق في مواجهة الموت القادم على يد الإرهاب، فإن لم تقاوم الحياة الموت فسيختل ميزان الحياة " إن لم يفق الأحياء الأموات قاطنو مغارة عالمنا المسكون بالآلام ويقاوموا خطوات الموت والقتل القادمة على أجساد مزنة فستطغى رائحة الموت من أولئك الذين يدفعهم ظفرهم إلى ساحات الجهاد المزعومة ويفجرون الأرض من تحت أجسادهم... هم لايتشفون بالموت وحسب، بل يقتاتون من دماء الأبرياء ويقدمون أرواحهم المسكونة بالوحشية؛ بحثاً عن حب أزلي مفقود، يغسلونها من أدرانها في يوم خلاص مشهود تفتح لهم فيه أبواب الجنان حيث لاسلطان سوى سلطان الله العادل، أولئك القتلة يقدمون ضحاياهم بترتيل تعاويذ" (المزيني، 2010، 189-190)، إن المشكلة الحقيقية في حال الإرهاب، العقيدة التي تسيّر الأفراد بلا تفكير، فيتحول قتل النفس في سبيل مايعتقدونه إلى سلم يرتقونه لبلوغ الجنة، ولأجل لهذه المشكلة إلا في تصحيح عقائدهم، وتخليص أرواحهم من وحشيتها، فالإرهابي كما وصفه المزيني يتشفى بالقتل، بل ويقتات من دماء الأبرياء، والإرهابي يقتل الآخر توقاً إلى عالم الخلود كما رسخ في ذهنه، وهي صورة نمطية على ما يعتقد به الإرهابيون، ويوجه أفعالهم. ولعدم إيمان يعقوب بهذا المعتقد نفص عنه غبار تلك الفترة التي كادت تدخله دوامة القتل والعنف. وحاول إلغاءها من عمره عن طريق كنس أكوام النفايات من سيارته، ليقطع صلته بذلك الماضي المؤلم، فاستل كيساً من مقعد السيارة الخلفي وصار يحشو داخله أوراقاً وأشرطة كاسيت وكتيبات وكتبا ومجلات غص بها الكيس، حمله وأفرغه في الحاوية واستبدل الأغاني بتلك الأشرطة التي كانت توزع لهم (المزيني، 2010، 201-203). هذا الانقلاب الفكري أتبعه بإجراء تغيير على شكله الخارجي، وبما أن تحول شخصية يعقوب بدأت عبر الشكل كذلك كان كسر طوق الإرهاب عبر الشكل، لذلك حلق ذقنه وحف شاربه، وبعد ذلك بدأت التغييرات الداخلية الواعية، يقول يعقوب على لسان السارد "خلال حياتي البرزخية التي قضيتها في منزلي حاولت أن أغسل ذاكرتي بالقراءة، فكانت عدتي منها المعاول ومنها المقشات ذات

الأسنان الغليظة، كانت كتبك مثل بياض الطحين ورغوة الصابون وحرارة ألسنة اللهب، ولم أعد أعبأ بالزمن الذي أتقصد نسيانه" (المزيني، 2010، 206). فمعاول هدم تلك الفترة من عمره ذات قوة وخشونة لتستأصل شأفة فكرة التطرف من عقله، ولعله قصد بها القراءة التي تحيي الفكر والعقل والوجدان

ويلتفت الروائي إلى مسألة الارتهان للخارج وتمويل العمليات الانتحارية، وهذا الذي أعاد يعقوب إلى صوابه، إذ استعاد لحظات الانسحاب من ربة الجماعة، قائلاً: " وفي اللحظات الحاسمة من اتخاذ قراره بهجر الجماعة اتصل بي أحدهم (لا أعرفه) عرف نفسه تحت اسم حركي وطلب مني البروز له في مكان حدده هو لأمر عاجل، ونفذت طلبه على الفور ولأن الوجوه دائماً متشابهة لم أتفحص أو أمعن النظر، أعطاني حقيبة وطلب مني تسليمها للمظفر أحد الأسماء الحركية المعروفة وهو من حاول تجنيدي في كتيبة جهادية قوامها عشرة أشخاص" (المزيني، 2010، ص212)، يشير الروائي في مسألة التعامل بين أعضاء الجماعات المتطرفة إلى مسألة الأسماء الحركية، وكيف تمول العمليات الانتحارية بمال مدفوع من الخارج لتخريب كينونة البلد، ولذلك برر لنفسه الاستنثار بالنقود كحال بديلة عن قتل الآخرين بها

ويميز يعقوب بعد تجربته مع الجماعات المتطرفة بين التدين والتطرف فالجماعة التي تعلق بها بداية لم تكن متطرفة، وهم التبليغيون، وهم غير أولئك، فالتبليغيون طيبون ويكرهون العنف، معلقون بالأعمال الصالحة الموصلة إلى دار النعيم وهم من حذر يعقوب من مغبة الالتصاق ببعض المشبوهين، ولأنه كان مسلوب الإرادة انجذب إليهم دون دراية وتمحيص، حيث تزلقت قدمه بدوامتهم وحبالهم الطويلة.. لقد حقتوه بأفكار شحنت عروقه بالهمة وروحه بالعداء، وكانوا يستهدفون إقامة خلافة الله على أرضه فلبسته هذه الأفكار إلى أن أصبح في حرزهم وتحت إرادتهم (المزيني، 2010، ص212-213). بهذا التوصيف السردى يلخص يعقوب على لسان الراوي تجربته السابقة، ليضعنا أمام حقيقة أن المتطرف لا يولد متطرفاً، وإنما يصبح نتيجة بعض المتغيرات في حياته، منها العوامل البيئية والاجتماعية والثقافية والتعليمية والمعتقدات الخاطئة، ولعل في اعتناق هذه الأخيرة تتحدد عقلية المتطرف وطريقة تفكيره، وهنا وظف الروائي سمات شخصية، كالانقياد، والتهور والعداء والكره، وهي تقضي كلها إلى أفعال عنيفة لإقامة خلافة الله، التي دونها القتل والدمار، وهذه الأفكار ما كانت لتستحكم في تلك الفئات المتطرفة إلا لأنها ناتجة عن عدم فهمهم مقاصد الشريعة، بتوسيعهم في الاجتهاد المقاصدي دون ضوابط منهجية وثوابت شرعية، وتفسيرهم المتعسف للنصوص (الكبيسي، 2019، ص700)

اللغة الواصفة

تطرح الرواية من جملة ماتطرح رؤية الكاتب للمتطرف، وهذه الرؤية ليست موقفاً فكرياً وحسب، بل هي تعبير لغوي، وقد غدت الرواية عملاً باللغة (مرتاض، 1998، ص100)، ولا سيّما بعد ظهور البنيوية وتزايد الاهتمام بالدراسات اللغوية التي تولي اللغة اهتمامها، وعدت "اللغة أساس الجمال في العمل الإبداعي من حيث هو، ومن ذلك الرواية التي ينهض تشكيلها على اللغة بعد أن فقدت الشخصية كثيراً من الامتيازات الفنية التي كانت تتمتع بها طول القرن التاسع عشر وطوال النصف الأول من القرن العشرين أيضاً، إذ لم يبق للرواية شيء غير جمال لغتها وأناقاة أسلوبها" (مرتاض، 1998، ص100 - 101)، وهي عمل فني جميل يقوم على نشاط اللغة الداخلي ولا شيء يوجد خارج تلك اللغة (مرتاض، 1998، ص106).

جاء في الرواية: "دحرجنا أقدامنا مثل كرات ماء فلم يبد سوى هسيس القراطيس المتناثرة على الأرض، تعابثها الرياح ومواء القطط تحت السيارات المتعاقبة كخرز سبحة في خيط يمتد بلا نهاية" (المزيني، 2010، ص32). بهذه اللغة التي تثقلها مداليلها يصف الشارع الذي قصده وزميله، فمحننا صورة عن خوائه، وزمن خروجهما من خلال عيون القطط اللامعة في الظلام

وعندما يصف لحظة رؤيته لسويلم وزوجته بعد انتظار طويل قال "في لحظة زمنية هاربة من لفح الحياة كان الليل قد تمطى في روع النهار، وسكب لونه الرمادي حتى غامت حدود الأشياء وتفاصيلها" (المزيني، 2010، ص40).

ونجد هذا الوصف الدقيق للحفي في زمن ليلي، يدفع المتطفلين على حياة الآخرين لنبش خباياه "في الهزيع الأخير من الليل وعند اختلاج خيوط النهار البيضاء برداء الليل الفاحم وبعد امتصاصنا لرحيقها الأول متسكعين بسيارة يعقوب، أوبنا داخل السيارة إلى ثلثة مشرفة على بيت فريد، حتى طفت بين أعيننا صور مربية نكشها الظلام الممتزج بنور باهت، كان الليل يهرم ساحباً وجهه مكفهراً أمام بهرجة الصبح القادم بعنفوان وجسارة. تدلت منه رؤوس مطأئنة متناقلة" (المزيني، 2010، ص69)

ويقول الراوي واصفاً الحال الذي آل إليه وحيداً بعد صديقه: "تصرمت أيامي منكباً بين نثار كتب وفوضى أوراق تعيث بها أحبار مدلهمة بالأرق والملل" (المزيني، 2010، ص121)، وعندما أراد تخليص صديقه من برائن العزلة، أتى بتعابير (السيارة المنحورة) الذي يدل على عدم استخدامها فقال: "كان بوسعي وأنا أرمق سيارته المنحورة لصق الجدار أن أهوي بيدي كليهما على صفحة باب بيتهم الصدى وأهزه من عروته؛ لأنتزع هذ الذي تسكنه الوحشة وحيداً في غمرة نسيان زمني مأفون" (المزيني، 2010، ص160)

ويقول على لسان يعقوب واصفاً دواخل نفسه بعد "هيا": " فبت أقتل أمشاج خيالاتي في حصار معاند لاتنفك وشائجه وسلاسله العتيدة، كنت أحملق في سمائي فلا أرى سوى غابة من رصاص تطبق على فوهة الكون، هذا الحصار أبدي ليس أهون منه سوى الموت.. تمزقت أوصال ظلالتي .. بت بلا ظلال تسابقني وبلاخطوات تلاحقني، بل ذاكرة ترصد معالم الأشياء"(المزيني، 2010، ص166)

ويعبر يعقوب عن الفشل في مواجهة غياب هيا" كنت وهيا نجوب فوق بحور. لم يجذبني الموج ويطويني كصفحة من كتاب إلا ساعة أغرقها الغياب ثم أفقت على حقيقة أنني بدونها لا أجيد العوم والتجديف وليس ثمة وقت لمنازلة المياه الطافية فوقي"(المزيني، 2010، ص168)

فالروائي عبر عن حال الضياع التي يعيشها وصديقه يعقوب وهما يبحثان عن هويتها في أمكنة مختلفة إلى أن جرفهما تياران متناقضان زمنياً

لقد تحول الكاتب من السرد إلى الوصف، بلغة جميلة وبحضور لافت للرؤية، مع اعتماد وظيفة الوصف على عرض الواقع والداخلي للشخصية من قلق وحزن وحيرة وترقب.

إن اللغة التي استخدمها الكاتب مشبعة بإيحاءات تحاكي حال القلق التي عاشها الراوي وصديقه، لغة مفعمة بجمالية اللغة الشعرية

خاتمة

كشفت الرواية عن وعي يرى التطرف فكرة، تنمو وتتمدد نتيجة ظروف القاهرة يحني لها الإنسان في فترات من اليأس والقنوط، ثم تتحول إلى قضية وانتماء، يجسدها أشخاص يتخذون مظهراً خارجياً مميزاً، ويدينون بالولاء والطاعة لزعيم الجماعة، وبما أن الروائي يرى أن التطرف فكر، كان لا بدّ من هزيمته عبر الفكر

قدمت الرواية شخصية المتطرف التي تشكلت عبر مراحل: اللهو والعبث، ثم النكوص والفشل في الحب، والانتماء إلى الجماعات المتطرفة، ثم الانقلاب عليها والعودة عنها، وفي كل مرحلة من هذه المراحل، كان يطرأ عليها تغيرات نفسية واجتماعية، شكلت في النهاية البنية الفكرية التي أفضت إلى التطرف، وقد كان لفشل علاقته بـ "هيا" الأثر الأكبر في جنوحه تعويضاً روحياً عما فقده، لذا استسلم بلا تفكير لقادة الجماعات المتطرفة.

لقد جسدت الرواية صورة المتطرف المغلوب على أمره، في شخصية يعقوب، الذي حولته ظروفه الاجتماعية والنفسية إلى شخصية متطرفة، ليكشف من خلالها أسرار تلك

الجماعات التي تتعمد الإيقاع بالأبرياء مستغلة ظروف ضعفهم و فراغهم النفسي، فتوهمهم أنها تقدم لهم الدواء الناجع. ولكن الرواية وقفت عند حد المستوى التنظيري، وتهيئة المتطرف على مستوى الفكر، مع إدانتها الإرهاب والعنف

والروائي واحد من الروائيين القلائل الذين منحوا المتطرف فرصة للحكي والسرد، وقدمها على أنها شخصية قابلة للإصلاح، وراهن على توبتها، ولذا سلط الضوء على الظروف الاجتماعية والبيئية والنفسية التي أسهمت في تشكل تطرفها، وأدان تلك الظروف، وركز في تفكيك التطرف على معالجة تلك الظروف قبل الانتقال الخطير به من مستوى الأفكار والرغبات إلى الدموية والقتل

وقد اعتمد الروائي على التجزئة في عرض الشخصية، فركز على وصف المظهر الخارجي، كتناول ملامح الوجه (اللحية) و (التلقع بالعباءة) فجعل الفصل في تمييز الشخصية الشكل، الذي يضمم الوعي المنتج للفعل، ولذلك عندما تحولت الشخصية عن الإرهاب، غير هذه الملامح، واستبدل شكلاً بآخر

وقد أضاف الكاتب الواقعية على الرواية من خلال ذكر الأماكن بأسمائها الأمر الذي أكسبها المصداقية. كما اعتمد على توظيف الخبر المرئي والمكتوب ليربط الرواية بالواقع، وبالقضايا السياسية والاجتماعية

ولم يفت الروائي أن يقدم صورة عن مآلات الإرهاب عبر سرد خبر انفجارات حي المحيا، وما تسببت به من الموت الجماعي والخوف، لذلك يكون الرهان على توبة المتطرف خياراً يمنح الناس الحياة. كما قدم حلاً لإشكالية التطرف وتفكيك منظومته الفكرية بجميع حججها وإغراءاتها، فاقترح بديلاً للتطرف يكون بالانفتاح الثقافي وتربية الوجدان وحب الحياة التي تصب في حب الوطن في النهاية

ومن أهم التوصيات التي تمخض عنها البحث، أفراد الفكر المتطرف بأبحاث تطرح فكرة معالجته بجرأة تتجاوز التلميح إلى العمق

قائمة المصادر والمراجع:

- ايدل، ليون (1959). القصة السيكولوجية دراسة في علاقة علم النفس بفن القصة (ترجمة محمود السمرة). المكتبة الأهلية.
- بحراوي، حسن (1990). بنية الشكل الروائي (الفضاء - الزمن - الشخصية). المركز الثقافي العربي.
- البيومي، أحمد (2003). ظاهرة التطرف الأسباب والعلاج. دار المعرفة الجامعية.
- الجهيني، أحمد و محمد، مصطفى (2007). الإسلام والآخر. مكتبة الأسرة.
- حبيلة، الشريف (2010). الرواية والعنف دراسة سوسولوجية نصية في الرواية الجزائرية المعاصرة. عالم الكتب الحديث.
- الحسناوي، حسنين علي و الخالدي، نبيل عمران موسى (2022). التطرف الفكري وأثره على هوية الشباب الجامعي. رؤية سوسولوجية. مجلة جامعة واسط لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، 1(44)، (508- 530). <https://doi.org/10.31185/lark.Vol1.Iss44.2237>
- الحميداني، حميد (1991). بنية النص السردى من منظور النقد الأدبي. المركز الثقافي العربي.
- خليفة، محمد سعد كمال (2009). اللغة وتقنيات البناء القصصي. معهد البحوث العلمية مركز بحوث اللغة العربية وآدابها جامعة أم القرى.
- ضويو، عبد العزيز (2014). التجريب في الرواية العربية المعاصرة دراسة تحليلية لنصوص روائية حديثة. عالم الكتب الحديثة .
- عبد الستار، ليلي (1992). تنمية التفكير السليم لدى الشباب الجامعي لمواجهة التطرف- دراسة تحليلية. مجلة دراسات تربوية، 7(43)، 187- 214.
- عثمان، إسماعيل صديق (2017). التطرف والتعصب الديني أسبابه وعوامله المؤدية إليه. مجلة الساوره للدراسات الانسانية والاجتماعية، (5)، 247- 291. <https://doi.org/10.51993/2221-000-005-002>
- القاضي، محمد و الخبو، محمد و السماوي، أحمد و العمامي، محمد و عبيد، علي و بنخود، نورالدين و النصري، فتحي و ميهوب محمد (2010). معجم السرديات. دار الفارابي.
- لتمان، يوري (1986). مشكلة المكان الفني المكان والدلالة (ترجمة سيزا قاسم). مجلة ألف، (6)، 59- 86.
- الكبيسي، أحمد عبد الكريم (2019). التفسير المقاصدي وأهميته في تأصيل الحوار مع الغير. مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والدراسات الإسلامية، 16(1)، 700-730. <https://doi.org/10.36394/jsis.v16.i1.25>
- مرتاض، عبد الملك (1998). في نظرية الرواية. سلسلة عالم المعرفة، (240)، المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب.
- المزيني، محمد (2010). عرق بلدي (ط2). الانتشار العربي.

Romanized Arabic References: الترجمة الصوتية لمصادر ومراجع اللغة العربية:

- aydl luyün (1959). alqışşatu al-saykülüjjiyyatu dirāsaton fi 'alāqati 'ilmi al-nafsi bifanni alqışşati)tarjamati maḥmūdi al-samurati almaktabatu al'ahliyyatu
- baḥrāwī ḥasan (1990). binyatu al-shakli al-riwā'iyyi) alfaḍā'u - al-zamani -al-shakhṣiyyati almarkazu al-thaqāfiyyu al'arabiyyu
- albayūmiyyu 'aḥmadu (2003). zāhiratu al-taṭarrufi al'asbābu wa-l-'ilāju dāru alma'rifati aljāmi'iyyati aljuhayniyyu 'aḥmadu w muḥammadun muṣṭafā (2007). al'islāmu wa-l-'ākharu maktabatu al'usrati
- ḥabīla al-sharīfi (2010). al-riwāyatu wa-l-'unfu dirāsaton siwsuyūliwwajya naṣiyyatun fi al-riwāyati aljazā'iriyyati almu'āshirati 'ālamu alkutubi alḥadīthi
- alḥasnāwiyyu ḥsnyn 'ly w al-khāldy nabil 'mrān mwsā (2022). al-taṭarrufu alfikriyyu wa'atharuhu 'alā hū'iyyati al-shabābi al-jām'y . ru'uyatun swsyūlūjjiyyatin mijallatu jāma' wāst lārḳ lil-falsafati wa-l-Isāniyyāt wa-l-'ulūmi aljtmā'iyya 1(44)530 508-)، . <https://doi.org/10.31185/lark.Vol1.Iss44.2237>
- al-ḥmydāny ḥumaydin (1991). binyatu al-naṣṣi al-sardiyyi min manzūri al-naqdi al'adabiyyi almarkazu al-thaqāfiyyu al'arabiyyu
- khalīfatu muḥammadu sa'di kamālin (2009). al-lughati wataqanyātu albinā'i alqaṣaṣiyyi ma'hadu albuḥūthi al'ilmīyyati markazu buḥūthi al-lughati al'arabiyyati wa'ādābiḥā jāmi'atu ummi alqurā
- dīw'abdi al'azīzi (2014). al-tajribu fi al-riwāyati al'arabiyyati almu'āshirati dirāsaton taḥlīliyyatun linuṣūṣin riwā'iyyatin ḥadīthatin 'ālamu alkutubi alḥadīthati.
- 'abdu al-sattāri laylā tanmiyyatu al-tafkīri al-salīmi ladā al-shabābi aljāmi'iyyi limūājahati al-taṭarrufi- dirāsaton taḥlīliyyatun mijallatu dirāsatin tarbiwwaya 7(43).214 187- ،
- 'thmān 'ismā'yl ṣdyq (2017). al-taṭarrufu wa-l-ta'aṣṣubu al-dīniyyu 'asbābuhu wa'awāmiluhu almu'uaddiyati 'ilayhi mjla al-sāwra lil-dirāsati alinsāniyyati wa-l-iājtimā'iyyati (5)291 247- . <https://doi.org/10.51993/2221-000-005-002>
- alqāḍī muḥammadun wa al-khabw muḥammadun wa al-samāwiyyu 'aḥmadu wa al'imāmiyyu muḥammadun wa 'ubaydun 'aliyyun wa bankhūdin nūrāldayni wa al-naṣriyyu fathī wa mayḥūbu muḥammadun (2010). mu'jama al-sardiyyāti dāru alfārābiyyi
- litamān yūrī (1986). mushkilatu almakāni alfannī almakānu wa-l-dalālatu) tarjamati sizā qāsimin mijallatu 'alfin (6).86 59- ،
- alkabāsiyyu 'aḥmad 'abdi alkarīmi (2019). al-tafsīru almaqāṣidiyyu wa'ahmiyatuhu fi ta'aṣīli alḥiwārī ma'a alghayri mijallatu jāma al-shāriqati lil-'ulūmi al-shar'iyyati wa-l-dirāsati al'islāmiyyati

16(1)730 700- ،. <https://doi.org/10.36394/jsis.v16.i1.25>

murtāšin 'abdu almaliki (1998). fi nazariyyati al-riwāyati silsilatu 'ālamī alma'rifati (240)،
almajlisu al'a'lā lil-thaqāfati wa-l-funūni wa-l-'ādābi

almazyiniyya muḥammadin (2010). 'irqun baladiyyun) t2 .(aliāntishāru al'arabiyyu

The Image of the Extremist in the Novel Araq Baladi by Muhammad Al-Muzaini: Between Formation and Disintegration Between Genesis and Disintegration

Laila Shaaban Radwan⁽¹⁾

Abstract:

The research aims to explore the image of the extremist in the novel Araq Baladi by Mohammed Al-Muzaini, which is presented narratively in an Artistic and creative framework. The novel focuses on the external form and its reflections within the individual's inner self, highlighting the causes and motivations that lead a person to extremism and disassociation from his past, ultimately joining a group with which they identify, only to later rebel against them once they realize the truth about extremism and its consequences. The research aims to explore the character of the extremist, starting with their frivolous and failed upbringing, shaped by various factors that lead them to extremism, followed by their eventual detachment from it. The study analyzes this phenomenon, demonstrating how it forms and disintegrates, and examines the ways to confront it as presented by the novelist. The research also seeks to uncover the novelist's perspective on the concept of extremism and the effects of employing it to raise awareness in society about this dangerous phenomenon. The novelist emphasizes the importance of addressing extremism before it progresses from mere words to actions, through culture, art, and love.

Keywords: Extreme, Extremist, Formation, Disintegrate, Docility and dependency.

(1) College of Arts - Imam Abdulrahman Bin Faisal University (Dammam – K.S.A.)
lrodwan@iau.edu.sa